الحركة الوطنية في دارفور (١٨٩٨ – ١٩١٦م)

دراسة تاريخية

أ.د. سرحان غلام حسين(*)

مقدمة: الإطار التاريخي للدراسة.

تتلاقى في بلاد السودان القديم وأفريقيا، الطُّرق والمَسَالك، وتتلاقح فيها الكثير من الثقافات، كما ازدهرت فيها الحضارات ومنها الممالك عِبرَ قرونٍ من التاريخ، وتجمَّعت فيها مختلف الشعوب خلال هجراتٍ متفرقة ونزوح قبائل، وفي النهاية أضفت مزيجاً من الألوان والفنون على إيقاع الحياة الإنسانية في السودان عِبرَ التاريخ، ويُطلق اسم بلاد السودان على الحزام الواقع جنوب الصحراء وشمال الغابات المطرية الممتدة شرقاً حتَّى ساحل البحر الأحمر، وغرباً إلى نهر السنغال والمُحيط الأطلسي، ويضم السودان الغربي ممالك، منها: (مالي، صنغهاي، وسوكوتو)، فيما ضمَّ السودان الأوسط ممالك (كانم، برنو، الباقرمي، واداي)، أمَّا السودان الشرقي فإنَّه ضمَّ ممالك دارفور (١٤٤٥ – ١٨٧٤م)، ومملكة سنار (١٥٠٤ – ١٨٢١م)، وهي الآن تُشكِّل جزءاً من جمهورية السودان الحالية. ومن المعلوم أنَّ البريطانيين حقَّقوا السيطرة على الوضع السياسي السوداني خلال الصراع الاستعماري في آسيا وأفريقيا وما بعدها، مع كلِّ ذلك ظهرت حركاتٍ وانتفاضات في البلاد العربية ومنها السودان، من خلال نموِّ الوعي الاجتماعي والسياسي وتجسُّد ذلك في الجمعيات والاتحادات السريَّة والعلنية، توافق ذلك مع توجهات الحركة الوطنية في مصر وتأثيرها في مَسَار الحركة السياسية في السودان، لاسيَّما بعد انتشار التعليم وتزايد الوعي الوطني، وبروز طبقة من المثقفين السودانيين وقفت ضدَّ سياسة بريطانيا في السودان. هكذا كان الوضع في سلطنة دارفور السودانية، التي تأسَّست في القرن الخامس عشر وظلَّت قائمةً أربعمئة سنة تقريباً سلطنةً مستقلة تحت حكم خلفاء السلطان سليمان، إلى أنْ ضُمَّت إلى الأجزاء الأخرى من دارفور خلال الحكم العثماني – المصري بواسطة (الزبير باشا رحمة)، وخضعت أخيراً لقوات المهدي

(*) مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية.

في عام ١٨٨٤م. مع ذلك بقيت دارفور نقطة تجاذب بين القوى الكبرى عِبرَ التاريخ بعد الهيمنة البريطانية على مُقدَّرات مصر والسودان، التي كانت تخشى من توسع النفوذ الفرنسي في تشاد، حيث سعت الأخيرة لضمِّ دارفور إلى مُستعمراتها، إلَّا أنَّ مساعيها باءت بالفشل وبقيت دارفور جزءاً من السودان.

ظلَّ تاريخ السودان مُشرقاً في الكثير من المحطَّات الوطنية وبمواقف وطنية من أبنائهِ الذين ذادوا عن حريَّتِهِ ضدَّ قوى الاحتلال بأغلب مراحلهِ التاريخية، هكذا يحدثنا التاريخ أنَّه كلَّما اشتدَّت ألوان الهيمنة والصِّراع والاستبداد برز بريقٌ من الأمل والنور يُنير الدرب للأجيال القادمة في مُقارعةِ الغُزاة عِبرَ مراحل تاريخ السودان، من جانبٍ آخر ظلَّ السلطان (علي دينار) حفيد (ملوك الفور) ومن سلالة (سلاطين الفور)، كما هو شأن بقية السلاطين الآخرين غير آبهين بالقوى الأجنبية تجاه دارفور، بما في ذلك الحركة المهدية في أول الأمر، وبعدها أُجبر السلطان (علي دينار) على الرحيل إلى (أُمِّ درمان) في عام ١٨٩٧م، بطلبٍ من الحركة المهدية مع مقاتلين من دارفور للإسهام في المعركة التي وقعت بمدينة (عطبره) إلى جانب قوات المهدي، ولدى رجوعهِ إلى (أُمِّ درمان) مُنع من مغادرتها إلى دارفور، وهناك رواية تقول إنَّه لَمْ يُسهم في واقعة (أُمِّ درمان) بجانب قوات المهدية، وبعد هزيمة (عبد الله التعايشي) في (معركة كرري) التي وقعت بين القوات البريطانية والقوات المهدية في شمال أُمِّ درمان في ٢/ سبتمبر/ ١٨٩٨م، عندها جمع السلطان علي دينار رجاله وعاد إلى دارفور، وهناك أقصى وكيل الخليفة عبد الله التعايشي المتولِّي أمر شؤون دارفور، ونصَّب نفسه سلطاناً على دارفور، وفي عام ١٩٠٠م أقدمت حكومة السودان على الاعتراف بهِ سلطاناً مستقلاً على سلطنة دافور، مع ذلك استمرت الإدارة البريطانية بالعمل على زرع الشِّقاق بين السلطان علي دينار وحكومة السودان، فضلاً عن ذلك، حتَّى أنَّه تقدم بعددٍ من الشكاوى للحاكم العام بالخرطوم، وتدهورت علاقته بالحكومة أكثر فأكثر لَمَّا نَشَب نزاعٌ حول مناطق نفوذ القبيلة مع قبائل الرزيقات العربية، العدو التقليدي للسلطان علي دينار، وعند إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، نادت الدولة العثمانية بوصفها حاملةً الخلافة الإسلامية لدعوة جميع المسلمين أنْ يهبُّوا للثورة ضدَّ القوى الأجنبية، أمَّا علي دينار فكانت حكومة السودان جزءاً من الإدارة البريطانية، وبعد أنْ عُزل الخديوي إسماعيل باشا حفيد مُحمَّد علي باشا عن عرش مصر في ١٨٧٩م، رأى علي دينار نفسه جزءاً لا يتجزأ من الجهاد الأكبر ضدَّ الاستعمار البريطاني في السودان، وقد وجَّه السلطان علي دينار رسالةً إلى الحاكم البريطاني العام في السودان، جاء فيها: ((أصبحنا متأكدين من نيَّتكم في الاستيلاء على دارفور هذا العام، وإنِّي أُقسم بالله العظيم بأنِّي لا أخشى أحداً غير الله، وأنِّي لا أقصد الاعتداء على أحد، ولكن الذين يحاربوننا سنُحاربهم)).

وبعد ثلاثة أشهر كتب خطاباً للسيد (علي الميرغني)، ردَّد فيه شكواه من حكومة السودان لعجزها عن إمدادهِ بالأسلحة ومدِّها يدِ العون لأعدائهِ التقليديين من القبائل العربية الرزيقات والكبابيش والزيادية، ولم تعد حكومة السودان متمسكةً بدورها السلبي، ذلك أنَّ هجوم علي دينار على القبائل الموالية للحكومة هدَّد سطوتها ونفوذها في (كردفان).

فضلاً عن ذلك، فإنَّ الإدارة البريطانية في السودان أصابها القلق نظراً للزحف الفرنسي باتجاه مناطق دارفور، وفي نيسان عام ١٩١٥م ولَّما قام علي دينار بالتخلِّي عن التزاماتهِ تجاه الإدارة البريطانية في السودان، وأعلن الاستقلال والعصيان والاستعداد للهجوم على السودان، أخذ يدعو القبائل سواءٌ في دارفور أو تلك التي في كردفان للانضمام إليه والثورة على حكومة السودان، وفي الوقت نفسهِ عمل علي دينار على الاتصال بحلفائهِ ليُبلغهم باستعدادهِ، فكتب إلى (أحمد السنوسي) الذي قام بدورهِ في الحلف بالهجوم على غرب مصر، أنَّه قد عزم على جهاد أعداء الله الكفرة، وعلى الرغم من أنَّ علي دينار ظلَّ باستمرار مناهضاً للوجود البريطاني، حتَّى حدث الصِّدام بينه وبين قوات الإدارة البريطانية في السودان، إلَّا أنَّه منذ بداية عام ١٩١٦م أيقن أنَّ كلَّ محاولاتهِ لكسب ودِّ القبائل السودانية إلى جانبهِ قد باءت بالفشل، رغم كلِّ ذلك فقد استجاب لدعوتهِ بعضاً من الناس، ومن مقاتلين سودانيين بإمرة الجيش البريطاني، ونتيجةً لذلك أدى إلى هروب بعض من الضبَّاط السودانيين إلى دارفور، فيما تمَّ اعتقال البعض الآخر منهم أثناء الهروب، ولم يكن من المُنتظر أنْ تقف الإدارة البريطانية في السودان تجاه هذا الأمر مكتوفة الأيدي لتُعطي فرصةً للسلطان علي دينار أنْ يفعل ما يحلو له، حيث أخذ يُراسل رؤساء قبائل دارفور بهدف إثارتهم ضدَّ السلطات البريطانية، واتَّسعت عمليات الحكومة الدعائية بعد أنْ تجمَّعت قواتها واقتحمت دارفور وأصبح الصِّدام وشيكاً، فألقت المنشورات من الطائرات على سائر نواحي السلطنة وخاصةً في (الفاشر)، تُعلن فيها عزل علي دينار من منصبهِ، وضمان الأمان والحرية وتأمين رؤساء القبائل والعشائر على مناصبهم إنْ قدَّموا ولاءهم وخضوعهم للإدارة البريطانية.

هكذا بقي إقليم دارفور مثالاً واضحاً لذلك التنوع البشري لقبائل مختلفة الأصول، عربية وأفريقية، في زمن (السلاطين الفور)، حتَّى تولِّي السلطان علي دينار الحكم، واستقرار الوضع في دارفور مع حالة من التعايش لفتراتٍ طويلة، وتحقيق علاقاتٍ متنوعة من المُصاهرة والامتزاج في المُجتمع الدارفوري، فإقليم دارفور مثَّل إحدى مناطق الاحتكاك بين العرب والأفارقة في القارة.

هذا ما سيتم تناوله في ثنايا الدراسة المؤلَّفة من: مقدمةٍ وثلاثة محاور وخاتمة . فقد شَمِل، المحور الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية في إقليم دارفور أواخر القرن التاسع عشر، فيما جاء في المحور الثاني: سلطنة دارفور في عهد السلطان علي دينار، واستعرض المحور الثالث: الاحتلال البريطاني لسلطنة دارفور ونهاية حكم السلطان علي دينار.

المحور الأول:
الأوضاع السياسية والاجتماعية في إقليم دارفور أواخر القرن التاسع عشر

لم يكن لفظ السودان معروفاً أو شائعاً ومُستخدماً قبل الفتح العربي الإسلامي، وانتشاره في القارة الأفريقية عام ٦٤١م، بل كانت التسمية الشائعة لها آنذاك هي (بلاد النوبة) Nubia، والنوبة مُشتقة من كلمة (نب) أو (نوب) الهيروغليفية، ومعناها: الذهب، أي أنَّها كانت تُسمَّى (بلاد الذهب)[1]، والسودان كلمة عربية مُشتقة من تعبير: بلاد السودان، أي (بلاد السود)،

الـذي يُطلقه العرب في القرون الوسـطى كتسـميةٍ عرقيـة عـلى الأقاليم المُمتـدة إلى جنـوب الصحراء الكبرى من البحر الأحمـر والمُحيط الهندي وصولاً إلى المُحيـط الأطلـسي، كذلـك فإنَّ لفظة السـودان يعني جيل من الناس السُّود.

أمَّا لغوياً فإنَّ السوداني مفرد، والجمع سود، أو سـودان، وهو ما كان لونه أسود[٢]. ويُعد السودان أحد مَواطن الحضارة للإنسـان القديم، وجزءاً من نطاق حضـارة وادي النيـل التي عرفتهـا الحضارة الإنسـانية منـذ فجـر التاريـخ، ومـن هـذا المُنطلق مَارَس السـودان دوراً بارزاً في تاريـخ أفريقيا قديماً وحديثـاً، وقد أُطلقت أسـماء عديدة على السـودان في المناطـق التـي قامـت عليهـا حضارتـه القديمة، أبرزهـا: مـروي، الواوات، كـوش، نوبـه، البيمة، السنار[٣]... إلخ.

تقـع ولايات دارفور الخمـس حالياً في الإقليم الغـربي للسـودان، وتحتـل الولايات الخمـس فيها (شـمال، جنـوب، غـرب، وسـط، وشرق)، وتبلغ مسـاحة إقليم دارفـور (١٩٦،٤٠٤) ميـلاً مربعاً، وهـو يحتـل خُمس مسـاحة السـودان، ويفـوق في المسـاحة جمهوريـة مصر، وتُعادل مسـاحة فرنسـا، ويبلغ عدد سكَّانه حوالي ستة ملايين نسمة، ينتمون إلى قبائـل عـدَّة، منها: (الفـور، بني هلبـه، التنجر، البرتـو، الهبانيـة، الزغـاوة، الزيادية، الرزيفـات، المسـاليت، المعاليـا، التعايشـة، الميـدوب، البرقـو، الداجـو، بني حسـين، التامـا، الماهريـة، المحاميد، السـلامات، المسـيرية، العريقـات، العطيفـات، الفلاتة، بنـي منصـور، القمر، الصليحـاب، الميما، الترجـم)، ومن غيرها مـن القبائـل ذات الأصول العربية والأفريقية، وهناك بعض التداخل مع جزءٍ من قبائل تشـاد وأفريقيا الوسطى وليبيا، ولم يعرف دارفور الانغلاق السـكَّاني، إذ إنَّ عدداً من سـكَّان شـمال وأواسـط السـودان منهـم على سـبيل المثال الجعليـين والشـايقية وغيرهـم، جـاؤوا إلى دارفور بقصـد التجارة ومصالـح أخرى واسـتوطنوا فيه، وحـدث الاختلاط والانصهار والتداخل القبلي في دارفور بين مختلف المجموعات العِرقية والإثنية.

وتُعد دارفـور البوابة الغربية للسـودان، حيث توجـد لها حدود مشـتركة مـع كلٍّ مـن الجمهورية العربيـة الليبيـة، وجمهوريتـي تشـاد وأفريقيـا الوسـطى، ولا توجـد فواصل طبيعيـة بينهم، وفي عقد التسعينيات من القرن الماضي وفي إطار النظام الإداري للحكم اللامركزي للسـودان، تمَّ تقسـيم إقليـم دارفـور إلى خمـسِ ولايـاتٍ، وهـي: (ولاية شـمال دارفور وعاصمتها (الفاشر)، وولاية غرب دارفـور وعاصمتهـا (الجنينـة)، وولايـة جنـوب دارفـور وعاصمتها (نيـالا)، ثمَّ هكـذا إلى محلِّيات الأقضية والنواحي...)[٤]. وعليه فإنَّ دارفور إقليم له خصوصية فريدة في تاريخ السـودان، من خلال التركيبـة الاجتماعية والسياسـية، إذ التنـوع الإثني سِـمَة أساسـية في إقليم دارفور، ويتكون السـكَّان المحليـون مـن ذوي الأصول الأفريقيـة، مع بعض المجموعـات في المناطـق الشـمالية والجنوبيـة التـي تفخر بنسـبها العـربي، وأغلـب هـذهِ المجموعات تَدين بالإسـلام، وتتحدث لغاتٍ ولهجاتٍ مختلفة، وتسـتخدم اللغة العربية كلغةِ تفاهم فيما بينها، وقد ظلَّـت المـوارد الطبيعيـة في الإقليم تُشـكِّل مصدر جـذبٍ لمجموعـاتٍ متعـددة مـن سـكَّان الأقاليم المجـاورة والمناطـق البعيـدة عـن حزام السـاحل؛ لذلـك شَـهِد الإقليم هجراتٍ واسـعة من الشـمال وغـرب أفريقيـا ووادي النيـل في فـتراتٍ مختلفـة، ومـن ضمنهـا المجموعـات الرعويـة، مـن العرب

التي وجدت في الإقليم أفضل بيئةٍ لتربية أعدادٍ كبيرة من قطعان الماشية. وخلال قرونٍ عديدة تمكَّنت هذهِ المجموعات الرعوية من تطوير علاقاتٍ تكافلية مع السكَّان المحليين، فضلاً عن خضوعها لسلطة الحكَّام المحليين، ومع أنَّ الهوية الإثنية ظلَّت على الدوام تمثل خلفية هامَّة، فقد ظلَّ التفاعل بين المجموعات المختلفة بشكلٍ عام يجري بطريقةٍ سلمية، من خلال استخدام الآليات التقليدية لتسوية النزاعات التي يمكن أنْ تنشأ فيما بينهما، وطوال الفترة السابقة لم تُطرح قضايا الهوية بشكلٍ حاد ومتطرف كما حَدَث خلال العَقدين السابقين.

وقد حكمت أسرة (الكيرا) دارفور حتَّى ١٨٧٤م، وحافظت على استقلالهِ عن الحكم المصري للسودان، وخلال تلك المرحلة الطويلة تأسَّست في دارفور سلطنة إسلامية قوية الأركان، لها نظامٌ مركزي على رأسهِ سلطان مُهَاب الجانب، تعاونه نُخبة سياسية وإدارية على قدرٍ كبير من الكفاءة والمسؤولية، ولها نظام مالي دقيق ومُحكم، كما أنَّ أهالي السلطنة يُدينون بالولاء في الغالب الأعم للنظام السياسي والإداري للسلطنة، أمَّا الجانب القانوني والتشريعي فتمَّ الاهتمام بهِ، حيث كان هناك قضاء يُزاوج بين العادات والتقاليد وتعاليم الشريعة الإسلامية، وقام على حماية أركان تلك السلطنة مع الاستعانة بقدراتهِ العسكرية – في بعض الأحيان – على التوسع والوصول إلى خارج حدود السلطنة وبسط نفوذها بشكلٍ واسع، فيما كان السلاطين على درجةٍ كبيرة من الحساسية والدراية حِفاظاً على استقلالية سلطنتهم بكلِّ مَا أوتوا من قوةٍ وحكمة، فضلاً عن نشاطٍ تجاري مستقر ومزدهر سواءٌ مع مصر عِبرَ دَرب الأربعين، أو مع سلطنة واداي في الغرب، أو مع قلب السودان عِبرَ النيل الأبيض حاضرة كُردفان [٥].

والإقليم أرضٌ على شاكلة المستطيل، تقع في أقصى غرب السودان، بين خطَّي عرض ١٠-١٥ شمالاً، وخطَّي طول ٢٢-٢٧ شرقاً، وتُحيطه من الشمال الولاية الشمالية الجمهورية العربية الليبية، ومن الغرب تشاد وأفريقيا الوسطى وولاية بحر الغزال، بينما تُحيط بها من الشرق ثلاث ولايات، وتمتد لتشمل حوالي ثُلثي الحدود الغربية، لتُشكِّل الحدود السياسية للسودان، وأكبر أقاليمها، وتبعد عن العاصمة الخرطوم (١٠٠٠) كم. ومجموع سكَّان الإقليم بحدود (٦) مليون نسمة، وتُقسم إلى ثلاثة مناطق تضاريسية، وهي: شمال دارفور، وغرب دارفور وجنوبهِ[٦]، من جانبٍ آخر إنَّ أغلب المنازل في هذهِ المنطقة (قطاطي)[٧]، أي أنَّ نصفها مبنيٌّ من الطين، والنصف الآخر من القش، وهي شبيهه إلى حدٍّ كبير بما كانت عليه المنازل في جنوب العراق التي تُسمَّى (الصرايف)، وعليه إنَّ موقع وطبيعة جغرافية دارفور ساهم في استقطاب عددٍ كبير من القبائل المتباينة الأُصول والأعراق، والتي انصهرت لقرونٍ طويلة في بوتقةِ التعايش السِّلمي، وأظلت الجميع نُظُم إدارية متنوعة خضع لها بعض الأهالي لفتراتٍ، وتمرَّد عليها البعض الآخر.

خضعت دارفور للإدارة المصرية عندما انتصر (الزبير) في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٢٤٥-١٣١٢هـ/ ١٨٣٠-١٨٩٥م) على جيش سلطان دارفور (إبراهيم قرض) في معركة (منواشي) عام ١٨٧٤م، ودامت سيطرتهم عليها حتَّى عام ١٨٨٤م، ليلتحم إقليم دارفور للمرة الأولى من تاريخهِ بالسودان، وهو الحلم الذي راود مُخيِّلة حكَّام مصر منذ عهد مُحَمَّد علي باشا (١٧٦٩-

١٨٤٩م) ولم يتمكَّنوا من تحقيقهِ. وكان لعهد الإدارة المصرية رغم قصرهِ مشروعاتٍ للنهوض بدارفور على كافَّة المستويات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لولا اندلاع الثورة المهدية التي قامت في السودان في عام ١٨٨١م، وزعزعت مكانة ونفوذ الإدارة المصرية ليس في دارفور وحدها بل في عموم السودان، فضلاً عن تداعيات الأحداث الكبيرة التي شَهِدتها الإدارة المصرية في عهد إسماعيل باشا، فقد تمَّ بيع أسهم قناة السويس ١٨٧٥م، واستحكام الأزمة المالية ١٨٧٦م، وخلع الخديوي إسماعيل ١٨٧٩م، وقيام الثورة العُرابية ١٨٨١م، والاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢م، حيث لم تلبث المهدية أنْ حلَّت محلَّها في دارفور عام (١٨٨٣-١٨٨٤م)، بعد أنْ حثَّت بعض زعماء ومشايخ دارفور على خلع ولائهم للإدارة المصرية.

وفي عهد الثورة المهدية بدارفور (١٨٨٤-١٨٩٨م) عانى الإقليم الكثير من المرارة بعد وقوع الاضطرابات والفِتن والصِّراعات الدامية، ودارت معارك من أجل استقلال دارفور عن المهدية، منها: معركة (دارة)، ومعركة (ودبيرة) في ٢٢/ يناير/ ١٨٨٨م، وهو ما أرهق المهديين في دارفور، فضلاً عن الثورات الأخرى، منها: (ثورة أبو جميرة) واسمه (مُحَمَّد زين) من قبيلة (ارينقة) في غرب دارفور، وبعد وفاتهِ تولَّى السلطان (أبو الخيرات إبراهيم قرض) مسؤولية المقاومة ضدَّ المهدية، حتَّى تمَّ اغتياله في ٩/ فبراير/ ١٨٩١م نتيجة مؤامرة داخلية من قبل جنودهِ (من العبيد) في قرية (كوالمي) جنوب (زالنجي)، عندها اختار أهل دارفور (علي دينار) سلطاناً عليهم ليتولَّى قيادة السلطنة ورئاسة حكومةٍ مؤقتة لتحرير دارفور من المهدية. وفي هذهِ الأثناء تمكَّن السلطان (حسين مُحَمَّد عجيب أبو كودة) من القيام بثورة والإطاحة بسلطة المهديين في أبريل من عام ١٨٩٨م، وأعلن استقلال سلطنة دارفور. وقال إمام أهل دارفور كلماتهِ المشهورة، وبلهجة أهل دارفور الشعبية: ((يا أهلنا.. ربَّنا خلَّصنا من التركية والمهدية، وكلَّ زول - أي شخص - يعيش حراً بدون عبودية، ربَّنا يا أهلنا أكرمنا وعتقنا))[٨]. وطلب علي دينار من أبو كودة أنْ يتنازل له عن زعامة سلطنة دارفور، وأنْ يتعاون معه في إدارتها، وحصل شيء من الاختلاف كما تُبيِّن بعض المصادر السودانية، إلَّا أنَّه لم يصل إلى حالة الاصطدام، فبارك أبو كودة في نهاية الأمر تولِّي السلطان علي دينار أمر سلطنة دارفور[٩]، هكذا تولَّى السلطان علي دينار وبسط نفوذهُ على دارفور إبَّان سقوط الدولة المهدية تحت الضربات القاسية التي تلقَّتها على يدِ الحملة المصرية - البريطانية المشتركة لاسترداد السودان (١٨٩٦-١٨٩٨م)، واحتفظ السلطان علي دينار (١٨٩٨-١٩١٦م) بهامشٍ من الاستقلالية في إدارة شؤون سلطنة دارفور برضىً من الإدارة البريطانية في السودان[١٠].

وجاء في بعض المصادر التاريخية السودانية أنَّ السلطات البريطانية في الخرطوم أرادت ضمَّ دارفور إليها وتقويض استقلالها، عندها أرسل السلطان علي دينار إلى حاكم السودان العام (كتشنر) يُعلن قبوله بالتبعية الإسمية لحكومة السودان شريطة الاعتراف بهِ سلطاناً على دارفور، عند ذلك تُرك أمر دارفور لعلي دينار سلطاناً عليه عام ١٩٠١م، بشرط أنْ يرفع العلمين المصري والبريطاني - أي راية الحكم الثنائي على السودان - في عاصمتهِ (الفاشر)، وأنْ يدفع مبلغ مالي (ضريبة أو أتاوة سنوية) مقدارها (٥٠٠) جنيه مصري، من

جانبهِ قام السلطان علي دينار بإجراءاتٍ إصلاحية إنْ جاز التعبير بمفهومنا المعاصر، وأقام نظاماً إدارياً ينسجم مع الحاجات الإدارية في السلطنة، وأثناء قيام الحرب العالمية الأولى أعلن السلطان علي دينار استقلاله التام عن السودان [١١].

المحور الثاني:
سلطنة دارفور في عهد السلطان علي دينار

السلطان علي دينار من آخر سلاطين الفور (١٨٩٨-١٩١٦م) بالسودان، حيث تولَّى مسؤولية إدارة سلطنة دارفور السلالة الكيراوية. ولد السلطان علي دينار زكريا في قرية (شوية) أو (الشاوية) غرب مدينة (نيالا) بدارفور عام ١٨٥٦م، وهو حفيد السلطان مُحَمَّد الفضل (١١٩٣-١٢٥٥هـ/ ١٧٧٩-١٨٣٩م)، والدته أم كلثوم المنصورية، كان علي دينار وحيد والديه وله شقيقة واحدة، لذلك قرر زيادة نسله حيث تزوج بحدود عشرة نساء من مختلف قبائل السودان، ليُعزِّز علاقة المُصاهرة والتعايش الاجتماعي بين وجهاء القوم للقبائل الدارفورية، كذلك للسلطان علاقات أُسرية مع (مُحَمَّد أحمد المهدي) - كما تؤكِّد بعض المصادر - حيث يكون السلطان خال عبد الرحمن المهدي ابن المهدي الأكبر، ووالدته (مقبولة) هي بنت الأمير نورين من السلطان الفضل عمِّ السلطان علي دينار، ترك السلطان بعده (١٠٤) من الأبناء وأكثر من ألف من الأحفاد[١٢]، استقر في مدينة (الفاشر)[١٣]، العاصمة التاريخية لدارفور حيث القصر الخاص للسلطان علي دينار لإدارة السلطنة[١٤]، وظلَّ السلطان علي دينار لأكثر من خمسةِ أعوامٍ تقريباً يُرسل كسوة الكعبة إلى مكَّة المكرمة، وقد حاول الدكتور علي بحر الدين حفيد السلطان علي دينار التذكير بماضي جدِّهِ المُشرِّف في المحافظة على استقلال دارفور ومُقارعة الإدارة البريطانية، وذلك في لقاءٍ جمعه في جمهورية مصر العربية مع الباحث العراقي الأستاذ الدكتور عبد السلام بغدادي، من جامعة بغداد، والمتخصص بالشأن الأفريقي، في المؤتمر العلمي (الفضاء الأفريقي المشترك)، والذي عُقد تحت رعاية جامعة أسيوط / مركز المستقبل، في شهر أبريل - نيسان/ ٢٠٠٧م. ويذكر بغدادي هذا اللقاء، بالقول: ((أثناء إحدى جلسات المؤتمر تحدث أحد المشاركين من السودان بألمٍ عن السلطان علي دينار، وتاريخه، ودوره الذي لم يحظَ باهتمامٍ كافٍ، وأضاف أيضاً، عندما استبينت منه، عن سبب كلِّ هذهِ المُعاناة، قال إنَّه حفيد علي دينار، وأنَّه متألم، كيف لا تُعقد ندوة أو مؤتمر عن جدِّهِ المعروف بتاريخهِ، ودورهِ المتميز في السودان المعاصر !؟))[١٥]. وقد تحدث حفيد علي دينار في كلِّ ذلك، لكي يُبيِّن إسهام جدِّهِ السلطان علي دينار في دارفور، وإرسال المحمل الشريف إلى الحرمين، باعتبارهِ حقاً مكفولاً له، كما جاء في الوثائق السودانية المحفوظة في دار الوثائق القومية بالخرطوم، حيث دَرَج السلطان علي دينار على إرسالهِ قبل فترة الحج للأعوام (١٩٠٣م، ١٩٠٤م، ١٩٠٦م، ١٩٠٩م، ١٩١٣م). وهذا يؤكِّد حقيقة العلاقات الوطيدة التي كانت قائمةً بين سلاطين الفور والأراضي المقدسة، مع إرسال (صُرَّة دارفور) على مَحمَلٍ مشهود إلى أُمِّ القرى والمدينة المنورة، وهذا ليس بالغريب في نجاح مهمة إيصال المَحمَل بتشجيعٍ ومتابعة من لدن السلطان علي دينار لإرسال مَحمَل ثاني عام ١٩٠٤م مع صُرَّة الحرمين، إلَّا أنَّ الصُرَّة قد سُرقت في الطريق، الأمر الذي دفع الحاكم البريطاني (سلاطين باشا)[١٦]، أنْ يبعث برسالةٍ إلى السلطان علي دينار يقترح فيها بعدم إرسال المَحمَل سنوياً وذلك تفادياً لمخاطر

الطريق، وجاء في نصِّ الرسالة: ((جناب السلطان، إنَّ الحكومة لن تدَّخر وسعاً في منح المساعدة للمَحمَل الشريف، وسوف لَنْ نتأخر على هذا حرصاً منها على احترام الدين والشعائر الإسلامية، وأنا متأسف لعدم وصول هديتكم المُرسلة لبيت الله الحرام، وطالما أنَّ الطريق بعيد وفيه صعوبات، فأرى أنَّه لا يوجد موجب لإرسال هذا المَحمَل كلَّ سنةٍ، بل كلَّ سنتين؛ لأنَّ الثواب ليس بكثرة التردد والمواصلة، بل بحُسن النيَّة))[١٧]. ويبدو أنَّ هذا المقترح قد وجد مقبوليةً لدى السلطان علي دينار. وأخيراً كان مَحمَل عام ١٩١٣م هو آخر مَحمَل تودعه مدينة فاشر، وبعده أُسدل الستار على إرثِ سلاطين الفور، وأضاف حفيده الدكتور علي بحر الدين أيضاً، أنَّ ارتباط اسم السلطان علي دينار بآبار علي يمكن إرجاعه أيضاً لدورهِ في صيانتها وتجديدها لخدمةِ حُجَّاج بيت الله، وهناك من قال إنَّها سُمِّيت باسمهِ، فصيانة الآبار وتكحيلها هو تقليدٌ قديم ومتوارث في دارفور ومناطق السودان الأخرى، أمَّا دار (يسمى حوش باللهجة الشعبية السودانية) علي دينار الموجود في منطقة باب شريف بجدَّة فهو أشبه بالخرابة، والكل يدَّعي أحقيَّته الشرعية بهِ[١٨].

فضلاً عن ذلك، كان أهل الفور الذين ينتمي إليهم السلطان علي دينار يُقيمون جنوب غرب جبل مُرَّة بعد سيطرة المهديين على دارفور، وكُردفان، فطلب أمير هاتين المنطقتين من السلطان علي دينار المثول بين يديهِ في مقرِّ رئاستهِ في الأُبَيِّض، والخضوع لأمير المهديَّة المدعو (عبد القادر دليل) في الفاشر عاصمة دارفور، إلَّا أنَّ السلطان علي دينار كان قلقاً من هذا اللقاء وآثر أنْ يُبدي الخضوع للمهديَّة دون أنْ يلتقي بأُمرائها، وفي روايةٍ غير مسنودة، يُقال إنَّه لم يشترك في معركة (كرري) الفاصلة بين المهديَّة والإدارة البريطانية في شهر صفر ١٣١٠هـ / الموافق سبتمبر ١٨٩٨م، التي انتهت بهزيمة المهديَّة، حيث خرج من أُمِّ درمان خلسةً مع (٣٠٠) من أتباعهِ قاصداً دارفور، مُعلناً نفسه سلطاناً عليها بعد انهيار المهديَّة[١٩]. هكذا أعاد السلطان علي دينار ممتلكات أجدادهِ في دارفور بعد أنْ لاحت في الأُفق انهيار الدولة المهديَّة في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، عندها حزم السلطان علي دينار أمره بالتوجه إلى ديار أجدادهِ.

من جانبٍ آخر، اعترفت الإدارة البريطانية – المصرية بإدارة علي دينار على سلطنة دارفور من عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، واستمرت فترة حكمه إلى عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.

وقد بدأت العلاقات تتوتَّر بين السلطان علي دينار وحكومة السودان في السنوات السابقة لاندلاع الحرب العالمية الأولى، لأنَّ السلطان كما يروي لنا المؤرِّخ السوداني الكبير (مكي شبيكه) بالقول: ((منذ البداية لم يطمئن لها، ومَا كان يريد عرشاً يُشيَّد على حمايةٍ أو تدخلٍ أجنبي، بل كان يستعين بالحكومة للوصول إلى غايتهِ))[٢٠]. وفي هذهِ الأجواء المشحونة بالتوتر الإقليمي والدولي بعث الحاكم البريطاني العام في الخرطوم (ونجت باشا) Sir Francis Reginald Wingate (١٨٦١-١٩٥٣م) رسالة إلى السلطان علي دينار قُبيل الحرب يُبلِّغه فيها السلطان ويحثه على عدم الأخذ بالإشاعات المُغرضة، ويدعوه إلى الوقوف صفَّاً واحداً إلى جانب الحلفاء[٢١]، وممَّا جاء في رسالة الحاكم البريطاني العام: ((وليكن بعلمكم، أنَّ أخبار هذهِ الحرب الحقيقية تنشرها جريدة السودان التي تظهر في الخرطوم، التي على مَا أظن

تصلكـم في دارفور))، كما قال أيضـاً: ((فإذا بلغكم من بعض الناس الجهلة الذين لا يعرفون الحقائق، أو المُفسدين الذي يحبون نشر أخبار كاذبة لا تنطبق على ما تنشره الجريدة المذكورة، فإنِّي أُوصيكم بأنْ تأمروا موظَّفيكم بالقبض على هـؤلاء الكذَّابين، وتُبقوهم عندكم تحت المُراقبة أو تُرسلونهم للحكومة))[٢٢].

ويبدو من خلال قراءةٍ متأنيَّة لهذهِ الرسـالة، أنَّها جسٌّ لنبض السـلطان علي دينار الذي كان مشكوكاً في أمـر مُسـاندتهِ ووقوفـهِ إلى جانـب الحلفـاء، فردَّ السـلطان عـلي دينـار على رسـالة الحاكـم البريطاني العـام بقولـهِ: ((قـد اعتمـدت عـلى وضـع الثقة في حكومتكم، وعـلى المنافع التي أحصـل عليها منها، ولكن قبل اشتعال الحرب مباشرةً أصبحنا متأكدين مـن نيَّتكم في غزو دارفـور هذا العـام، كما صرَّحتم علنـاً في المديريـات والمناطـق... مـن الوقـت الذي علمنا فيه بنيَّتكم في احتلال دارفور أكملنا استعدادنا وانتظارنـا مَا قد يأتي بلا خوف، أُقسـم بالله بأنني لا أخشـى أيَّ أحدٍ سـوى الله، ولا أنوي العدوان على أيِّ شـخص، ولكن أولئك الذين يبحثون عن قتالنا فسـوف نُقاتلهم معتمدين على الله، ونحن متأكدين بأننا سنهزمهم...))[٢٣]. وبالفعل أصبح البريطانيون أمام حقائق مرَّة في موقفهم من السـلطان علي دينار، وتوجهه نحو اسـتقلالية الفور كـما هو عليه، عندها اكتفوا بسـيادةٍ اسمية على تلك المنطقة تمثَّلت في رفع علمـي بريطانيا ومصر في العاصمة (الفاشر)، ودفع إتاوة سنوية مقدارها (خمسمئة جنيه) رمزاً لتبعيَّة علي دينار للحكومة. ولا شـكَّ في أنَّ الغُزاة شـعروا بأنَّ السيطرة على دارفور ستواجه بالتأكيد مقاومة عنيفة، وتُكلِّـف حكومة الخرطوم أمـوالاً طائلة لا طاقة لها بهـا، غير أنَّ العلاقات سرعان ما تدهورت بين علي دينـار والحكومـة؛ إذ أنَّه اسـتغل كلَّ الفرص لتأمين استقلاله، بينما تزايد شكِّ الحكومة في نواياه، وتفاقم هذا التوتر ليصل ذروته عنـد اندلاع الحرب العالمية الأولى[٢٤].

ويتَّضـح مـن هـذا الخطـاب أنَّ السـلطان عـلي دينـار قـد فقـد الثقـة في حكومة السـودان، وأنصارها في الخرطوم – هنا يقصد الشـخصيات الاجتماعيـة والدينيَّة، وأبرزهم الشريف يوسـف الهنـدي وعلي الميرغني – وبـدأ اتصالاته بالخليفة العثماني في استانبول، والشيخ أحمد السنوسي[٢٥]. في جغبوب بليبيا، كما سـاهم السـلطان علي دينار بمُسـاندة عمـر المختـار (١٨٥٨-١٩٣١م) بالسـلاح والمـؤن، وتثمينـاً لهـذهِ الـروح الوطنية والجهاديـة بعـث أنـور باشـا وزيـر (١٨٨١-١٩٢٢م) الدفاع العثماني رسالةً إلى السلطان علي دينار قبـل بدء الحرب العالميـة الأولى، يُهيب فيها المسـلمين في مشـارق الأرض ومَغَاربهـا بحمـل السـلاح ومُسـاندة دولـة الخلافـة في مواجهـة الحلفـاء، حيـث كان للسـلطان علاقـة طيبـة مـع السـلطان العثـماني عبـد الحميد الثـاني (١٨٤٢-١٩١٨م)، وردَّ السـلطان عـلي دينار على رسـالة أنـور باشـا برسـالةٍ جوابية جـاء فيهـا: ((ونُخبر جنابكـم، أننـا ومنـذ نشـوب الحرب بـين جلالة سـلطان الإسـلام وبين الأعـداء الكفَّار الفُسَّـاق الإنكليـز وفرنسـا ومـا يليهم، فمن وقتـهِ قطعتُ مَـا كان بينـي وبينهـم مـن العلائـق الوديَّـة...))[٢٦]. هكـذا أعلـن السـلطان عـلي دينـار الجهـاد عـلى حكومة السـودان، ممثلاً بـالإدارة البريطانية وأنصارهـا، ودخـل معهـم في مواجهةٍ عسـكرية مكشـوفة وغير متوازنـة الأطـراف، لكنها كانت تقوم على مبادئ آمن بها السلطان وأتباعه.

المحور الثالث:
الاحتلال البريطاني لسلطنة دارفور ونهاية حكم السلطان علي دينار

ارتكزت السياسية البريطانية في السودان بعد إزالة نفوذ المهديَّة، العمل على إحداث انعطافة حادَّة في الواقع الاجتماعي عِبرَ سياسة إعادة القبليَّة باعتبار القبيلة Tribe هوية سياسية أصيلة للأفارقة مقابل كلِّ الهويات الأخرى التي تتجاوز المحليَّات، وكانت الخطوة الأولى في هذهِ الإستراتيجية في استعادة مملكة دارفور، وهذهِ المرة سلطنة دارفور[٢٧].

حدَّد علي دينار مهمته باستعادة الاستقلال الخارجي، إزاء خلفية التبعية المهديَّة التي اعتمدت على حِراك الجماعات البدوية لتجديد قواها العسكرية، في مسعىً منه لتغيير التوازن بين الجماعات المستقرة والبدو، ولمصلحة الطرفين، وإضعاف سلطة الزعماء القبليين. من جانبٍ آخر، عندما أصبح علي دينار سلطاناً لدارفور عام ١٨٩٨م لجأ إلى مسؤولين سابقين في الحركة المهديَّة من الثقاة في إدارة السلطنة، أبرزهم (عربي دفع الله)، كذلك (مُحَمَّد عبد القادر)، فضلاً عن القادة العسكريين وأعضاء الإدارة المحلية في السلطنة[٢٨].

إنَّ نظام الإدارة المركزية في عهد السلطان علي دينار كان سبباً في فشل نظامهِ السياسي والقبلي في الفور في ظلِّ مُتغيراتٍ إقليمية ودولية، بل كان السلطان يسير على خُطى أسلافهِ من السلاطين، سواءٌ في تقسيم السلطنة أو في تولِّي أهمِّ الوظائف لكبار رجالات الحكم وألقابهم، ولكن من أهمِّ مَا قدَّمه علي دينار هو استحداث منصب المندوب – متأثراً في ذلك بما كانت عليه الدولة المهديَّة – في دارفور، والمناديب وهم يمثلون السلطان في جمع الضرائب، ويقودون الجنود في المراكز المحلية الرئيسة[٢٩]، فقد عانى منصب المندوب من الضعف خاصةً بعد أنْ قُتل مندوب الجنوب (أحمد شطَّا)، ومندوب الغرب (عبد الله رانجا) على يدِ (الزبير رحة باشا)، كما تجمَّدت سُلُطات المندوبين في الغرب بسبب الحروب مع زعيم (قبائل المساليت) الذي تمرَّد على السلطان علي دينار، إذ قاد (أبكر إسماعيل) مقاتلين لمُحاربة قوَّات السلطان علي دينار، حيث تمكَّنت منهم قوَّات السلطان وأنهوا التمرد وأسروا أبكر إسماعيل وسُجن في العاصمة فاشر، وتمرَّدت كذلك قبيلة (التاما) بقيادة (الفكي التاماوي) عام ١٩٠٤م، وبعد معارك عدَّة معه تمكَّن منه بعد حصارٍ دام عاماً ونصف، حتَّى استشرى فيهم المرض والمجاعة واستسلموا لقوة جيش السلطان علي دينار، وتمَّ قتل الفكي وكبار أتباعهِ، كما تمرَّدت أيضاً قبائل (بني هلبة)، وقبائل (القمر) بقيادة السلطان إدريس، الذي فرَّ إلى تشاد وتمَّ أسر ابنه وابنته التي تزوجها السلطان علي دينار، فضلاً عن التوغل الفرنسي باتجاه دارفور، كما بقي مندوب الشمال مع عددٍ محدود من الجنود، فيما نُزعت الكثير من سلطاتهِ حتَّى أصبح المنصب وراثياً، لذا فقد كان لا بدَّ من بثِّ دماءٍ فتية في هيكل النظام الإداري في السلطنة لتفعيل سلطة علي دينار على أقاليم السلطنة، ورغم ذلك لم يمنح علي دينار أُمراءَه سلطاتٍ واسعة بالمقارنة مع سلطات المندوبين في عهد أسلافهِ[٣٠]. كما كان لدى السلطان علي دينار مجلس استشاري يُدعى مجلس الملوك، وكان يتشكَّل من الوزير والقاضي، وكبار الموظَّفين بالإضافة لحاجبهِ،

ورئيس حرسهِ الخاص هذا بالإضافة لبعض أعوانهِ المفضلين. وكان المجلس يُعقد بناءً على طلب السلطان عندما تكون هناك مُستجدَّات على الساحة الداخلية أو الخارجية كفرض المزيد من الضرائب، أو التجهيز لحملاتٍ عسكرية، وكانت قرارات المجلس استشارية[٣١].

وقد أولى السلطان علي دينار كثيراً من اهتمامهِ إلى الجيش، لفرض إرادتهِ وسيطرتهِ على القبائل، وكان الجيش مؤلَّفاً من وحداتٍ عسكرية كلَّ وحدة قتالية متكاملة بعددٍ متفاوت من حاملي البنادق والحِراب، والفرسان، وقوامها جنودٌ نظاميون يتمركزون في الفاشر مُسلَّحين بالبنادق الخفيفة، جنودٌ غير نظاميين مُسلَّحون بالحِراب، ولم يكن الجنود يتقاضون أيَّة رواتب، فقد كانت هناك الهِبات والمنح السلطانية للمُقاتلين، ونصيبهم فيما يجنونه من أموال الضرائب، وحرص السلطان علي دينار على نشرِ حامياتٍ عسكرية في أهمِّ المواقع الإستراتيجية في البلاد متأثراً في ذلك بعَهدي الإدارة المصرية والمهديَّة، فقد كانت هناك فرقة عسكرية جيدة التسليح في (جبل الحلة)[٣٢]. كما كانت هناك حامياتٍ عسكرية أخرى في مليط، دارا، الطريشة، شكا، وكتم. وقُدِّر عدد الجيش النظامي بستَّة آلاف جندي، وألف وسبعمائة من الفرسان، أمَّا القوات غير النظامية فكانت تُقسم إلى مئاتٍ لكلِّ مائة جندي قائد، والجميع بإمرة ضبَّاط من الجيش النظامي، هذا بالإضافة لقوات الحرس السلطاني ((الملازمون))، وكان يوجد عدد قليل من (أطقم الطوبجية) الذين قاموا بتشغيل المدافع المتبقية من عهدي الإدارة المصرية والمهديَّة في دارفور، وكانت ذخيرة البنادق والمدافع تُصنع محلياً، وكانت قيادة الجيش بيدِ (كيران الرزيف) الذي شَغَل منصب الوزير، وكان من أهمِّ رجالات الدولة بعد السلطان، وحكم عليه بالإعدام في ١٩٠٠م لفشلهِ في حملة (الفكي التاماوي)، ثمَّ خلفه في قيادة الجيش (تيراب سليمان) الذي قاد الهجوم على (المساليت) ١٩٠١م، لكن السلطان علي دينار نفاه إلى (جبل مرة) ١٩٠٤م، ثمَّ ألقي بهِ في جُبٍّ ومات، فتولَّى (آدم رجال) ١٩٠٤م حتَّى ١٩١١م حيث اختفى لتآمرهِ على السلطان، وخلفه (آدم علي) الذي عُزل سريعاً واختفى هو الآخر في ظروفٍ غامضة، ليتولَّى (رمضان علي) قيادة الجيش من عام ١٩١١م وحتَّى عام ١٩١٦م[٣٣].

وكانت الشريعة الإسلامية والعادات والتقاليد القبليَّة هي المصدر الرئيس للتشريع، ووقف السلطان على قمَّة الهرم القضائي في دارفور، فهو بمثابة محكمة الاستئناف العليا التي لا نقض بعدها ولا إبرام، ولذا كانت عقوبة الإعدام حكراً سلطانياً، كما كان هو القاضي الأعلى الذي يحكم في قضايا القتل، وأُوكل إلى قاضي الفاشر (إدريس عبد الله الدنقلاوي) تعيين القُضاة في المحاكم المحلية التي انتشرت في شتَّى بقاع دارفور (نيالا، كتم، مليط، جبل الحلة، الطوشة، الكلكله)، وتشكَّلت عضوية المحاكم المحلية من القاضي المحلِّي، ووجهاء القوم من زعماء ومشايخ القبائل[٣٤].

وكان نظام الإدارة الذي طبَّقه السلطان علي دينار في دارفور خلال الفترة (١٨٩٨-١٩١٦م) يشبه كثيراً نظام الإدارة في عهدِ أسلافهِ سلاطين الفور في شكلهِ ومضمونهِ، لكن التحديات في عهد علي دينار كانت أكثر شدَّةً، ولذا فقد كانت

هنـاك ثمَّة اختلافـات، فقد حافظ السـلطان علي دينار على وجود جيشٍ قائم لمواجهة الصِّراعات الداخليـة في دارفور متأثـراً في ذلك بعهد الإدارة المصريـة والدولة المهديَّة – والدفـاع عن دارفور ضـدَّ التوغـل الفرنـسي، وأمـام ترقُّـب حكومـة السـودان لضـمِّ دارفـور تحـت سـيادتها بشـكلٍ كامـل، وكذلـك نـشر حاميـاتٍ في المـدن المهمـة في أنحـاء السـلطنة، وكذلك اسـتحداث منصب المنـدوب، ولعلَّ هـذا ما دفع السـياسي والكاتب البريطـاني هارولـد ماكمايـكل Sir Harold Alfred MacMichael (١٨٨٢-١٩٦٩م) إلى الثنـاء عـلى النظـام الإداري الـذي انتهجـه السـلطان علي دينار في شـؤون دارفور[٣٥].

شَـهِدت الفـترة مـا بـين (١٩١٣-١٩١٥م) وصـول العلاقـات بـين السـلطان عـلي دينـار وحكومـة السـودان إلى نقطـة اللاعـودة، حيـث تأجَّلـت في ١٩١٣م كلَّ الجهـود الدبلوماسـية لرسـم الحـدود الشرقيـة لدارفـور لأجـلٍ غـير مُسـمَّى، كـما أنَّـه لم يتلـقَّ الدعـم الواجـب مـن حكومة السودان اسـتعداداً لمواجهة الاعتداءات الفرنسـية على الحدود الغربية، كما فشـلت محاولة عـلي دينـار غـزو أراضي (دار الرزيقـات) عرب جنـوب دارفـور ١٩١٣م، مـع توسـط كبـير مفتـشي كردفـان، كـما رأى أنَّ حكومة السـودان آوت جماعـات (عرب الزيادية)، الذين فروا إلى كُردفان بعد سـلبهم أموال ودواب السـلطان، مما أدى إلى زيـادة الهـوَّة بـين الطرفـين[٣٦].

وفي أوائـل عـام ١٩١٦م كان حـال الصِّراع قـد وصـل إلى نهايتـهِ القصـوى بـين حكومـة السـودان والسـلطان عـلي دينـار عـلى السَّـواء، وكان السـلطان عـلي قـد اسـتقلَّ بحكـم دارفور بعد سـقوطِ أُمِّ درمـان، وأقنع حكومة السـودان بعـدم التدخـل في الشـؤون الفعليـة لسـلطنتهِ. وعنـد انـدلاع الحـرب العالميـة الأولى ١٩١٤م واشـتراك الدولة العثمانية إلى جانب دول المحور (ألمانيا، والنمسا، وإيطاليا)، وما واكب ذلك من خلـع الخديـوي عبـاس حلمي الثـاني (١٨٩٢-١٩١٤م)، الأمـر الـذي أقلـق علي دينار بشـدَّة، فصـبَّ كلَّ غضبهِ عـلى حكومة السـودان، حيث رأى أنَّ الـدور آتٍ عليـه لا محالة. ومع اسـتنجاد الدولـة العثمانيـة بالقـوى الإسـلامية في العـالم الإسـلامي، داعيـةً إيَّاهـم بالتكاتـف والوحـدة ضـدَّ البريطانيـين وحكومـة السـودان، ولقيـت تلـك الكلـمات صـدىً حميـداً لـدى السـلطان، خاصـةً وأنَّ حكومـة السـودان منعـت إمـداده بالسِّـلاح والذخيرة، ورأى أنَّ أعداءه يحتمون في أراضيهـا، فارتفعـت لهجة الخطـاب العِدائي بينه وبـين حكومة السـودان، ممـا كان مَدعَـاةً لتحديه السَّـافر لهـا في أبريل ١٩١٥م، حيـث رفض أداء مـا عليـه مـن إتـاوةٍ سـنوية، فكانـت ردَّة فعـل حكومـة السـودان تجهيـز حملةٍ عسـكرية بدءاً من ٢/ ديسـمبر/ ١٩١٥م اسـتعداداً لضـمِّ دارفـور وإزاحة السـلطان عـلي دينار، وزحفـت القوات البريطانيـة باتجـاه دارفـور وتمكَّنـت مـن هزيمـة قـوات السـلطان علي دينـار في معركـة (برنجيه) في ٢٢/ مايـو/ ١٩١٦م، وتعقَّبتـه القـوات البريطانيـة مسـتخدمةً ولأول مـرَّة الطائـرات، فطلب منـه القائـد البريطاني الاستسـلام فرفض الأمر، واسـتمر في المقاومة، وتمكَّنت من محاصرة قـوات السـلطان عـلي دينـار ومَـن معـه الـذي انسـحب على إثرهـا باتجاه (جبل مـرَّة)، وتحصَّن فيهـا، وكانت نهايته بسـتة شـهور ونصف، حيث استُشـهد السـلطان علي دينار[٣٧]، عـلى يدِ قوات

الجنرال هدلستونSir Hubert Jervoise Huddleston (١٨٨٠-١٩٥٠م) في ٦/ نوفمبر من عام ١٩١٦م، وهو يؤم المُصلِّين من المقاتلين في صلاة الفجر، وأُعلن في الأول من يناير ١٩١٧م ضمِّ سلطة دارفور إلى السودان، ومنها تمكَّنوا من دخول العاصمة دارفور التاريخية الفاشر، ومن المُفارقات التاريخية أنَّ السودان نال استقلاله بشكلٍ سلمي في ١/ يناير/ ١٩٥٦م بناءً على اقتراحٍ من عضو إقليم دارفور في البرلمان السوداني (عبد الرحمن دبكة) والذي أقره بالإجماع عام ١٩٥٢م[٣٨].

وخلاصة القول، إنَّ السلطان علي دينار حرص على الانفتاح نحو الخارج وخلق نوعاً من التواصل بين دارفور والعالم الخارجي على الرغم من حرص حكومة السودان على الوقوف له بالمرصاد في أيِّ خطوةٍ يقوم بها في هذا الاتجاه، فقد رفضت حكومة السودان التجاوب مع رغبة السلطان علي دينار في نشر كتابٍ عن حياتهِ، بعنوان (العِمران) في القاهرة سنة ١٣٣٠هـ / الموافق ١٩١٢م، حيث رفض الحاكم العام للسودان هذا الأمر رفضاً باتاً، وفي نهاية الأمر وافق على طباعة ستِّ نسخٍ فقط من الكتاب للاستخدام الشخصي للسلطان. وقد أظهر السلطان علي دينار براعةً كبيرة ونادرة في الوعي السياسي للقادة المحليين في السودان وأفريقيا، ودرجةً كبيرة من الوعي الفكري والإداري، حيث استطاع إقامة سلطنتهِ في غرب السودان، وأقام لها شبكةً من العلاقات الخارجية، وفق نظامٍ داخلي مقبول في تلك المرحلة مقارنةً بالإمكانات المُتاحة له في ذلك الوقت، حيث أسَّس مجلساً للشورى، وعيَّن مفتياً ومجلساً شبيه بمجلس الوزراء، وبدأ في تكوين جيشٍ وطني، وأوكل تدريبه إلى ضبَّاط مصريين، ووضع نظاماً للضرائب وفق نهج الشريعة الإسلامية.

من جهةٍ أخرى، لا بدَّ من الوقوف على بعض الجوانب السلبية لحكم سلاطين الفور، بما فيهم السلطان علي دينار، من حيث السلطة المركزية وعدم إعطاء الصلاحيات للمرؤوسين ومَن معه في إدارة السلطنة، كما ساهمت بعض الصِّراعات بتحريض بعض القبائل الأخرى على التمرد ضدَّ السلطان علي دينار، فضلاً عن تدخل المرأة في شؤون الحكم حيث كان للمرأة دورٌ كبير في الحياة السياسية والاجتماعية، وربما تدخلت في تنصيب الملوك بدرجةٍ فاقت أصحاب الرأي والمشورة من قادة الجيش وكبار القوم والشيوخ، وقد شارك بعضُهنَّ في مؤامراتٍ خاصة وخطيرة بالتنسيق مع الوزراء، منها قتل السلاطين، كما حصل في عهد السلطان (عبد الرحمن الرشيد)، والاستعانة بملوك الممالك المُجاورة والتحايل على السلاطين لإفراغ خزائن السلطان بالفاشر لصالح أولادهنَّ لغرض استلام السلطة[٣٩].

الخاتمة:

جاءت نهاية السلطان علي دينار آخر سلاطين سلطنة دارفور مبنيةً على حساباتهِ الخاصة إبَّان الحرب العالمية الأولى، حيث راهن على أنَّ ألمانيا والدولة العثمانية هما المنتصرتان في الحرب ضدَّ الحلفاء، وأنَّ عليه تقديم العون للعثمانيين حتَّى يجني ثمار هذهِ المساعدة بعد انتهاء الحرب، وإنْ كان ذلك لا يمنع انطلاق علي دينار من عاطفةٍ وحميَّةٍ دينيَّة لُمساندة دولة الخلافة ضدَّ أعدائها من الفرنسيين والبريطانيين الذين وصفهم بالكفَّار.

أمَّا البريطانيون فرأوا أنَّ علي دينار قام بانقلابٍ في السياسة الدارفورية الخارجية، ولأنَّه كان يُعاني من فقدان شعبيتهِ فأراد أنْ يعوض ذلك باللجوء إلى الدين، وأيَّاً مَا كان الدافع وراء تمرد علي دينار على الإدارة البريطانية، فقد وقعت الحوادث ثمَّ القتال بين الجانبين، وبدأ الجانب البريطاني بتأليب القبائل عليه لإضعاف سلطتهِ تمهيداً لحربهِ، فتمَّ تسليح قبائل الرزيقات وتحفيزهم ضدَّه، وتمَّ استغلال شائعاتٍ عدَّة، منها أنَّ السلطان علي دينار يُجهِّز تعزيزات من الفور في منطقة جبل الحلة كذريعةٍ وحجَّة للعمليات الحربية ضدَّ السلطان علي دينار، خاصةً بعد تحسن الموقف العسكري للإدارة البريطانية في مصر ونجاحها في القضاء على خطر الحركة السنوسية المتعاطفة مع حركة السلطان علي دينار من على الحدود الغربية لمصر.

وقد بدأت الحرب بين الجانبين في ربيع الآخر ١٣٣٤هـ/ مارس ١٩١٦م، ووقعت معارك عدَّة داخل أراضي دارفور، كان أهمها (معركة برنجيه) الواقعة قرب العاصمة الفاشر، وتمكَّن الاحتلال البريطاني من تبديد جيش السلطان علي دينار في الفور البالغ (٣٦٠٠) مقاتل، بعد قتالٍ متواصل لساعات، وقُتل في المعركة الكثير من المقاتلين، وعندما عَلِم علي دينار بانهيار قواتهِ استعد للقتال مرةً أخرى للدفاع عن الفاشر، لكن الجيش الذي كان تحت يديه لم يكن مُدرَّباً ولم يكن يمتلك أيَّ أسلحةٍ حديثة، كما أنَّ البريطانيين استخدموا الطائرات لأول مرةٍ في أفريقيا، ضدَّ جيش السلطان علي دينار، وتمَّت لهم السيطرة على الفاشر في ٢٢/ رجب/ ١٣٣٤هـ، ٢٤/ مايو/ ١٩١٦م، ففر السلطان بأهلهِ وحرسهِ نحو جبل مُرَّة، حتَّى نال منه الأعداء، فاستشهد أثناء صلاة الفجر على يدِ أحد أتباعهِ المتعاونين مع الإدارة البريطانية وله خلافات مع السلطان علي دينار، في ١١/ المحرم/ ١٣٣٥هـ، الموافق ٦/ تشرين الأول/ ١٩١٦م. هذهِ الرواية غير مُسندة تاريخياً، بعدما رفض الجانب البريطاني قبول أيِّ تفاوضٍ معه.

وفي نهاية الأمر، إنَّ أسباب فشل السلطان علي دينار من المُحافظة على كيان الفور وسيادتها من الهيمنة الاستعمارية مردَّه قلَّة الدراية باللعبة السياسية في هذهِ المرحلة الاستعمارية، لاسيَّما مع اندلاع الحرب الكونية الأولى وتداعياتها على دول المنطقة بما فيها السودان عموماً وسلطنة دارفور خصوصاً، لموقعها الجغرافي والجيوستراتيجي Geostrategy للإدارة البريطانية في تلك المرحلة الاستعمارية، إلى جانب خسارة الحركة المهديَّة في مواجهة الاستعمار البريطاني مصر والسودان، فضلاً عن الأوضاع الاقتصادية والعسكرية والسياسية في عموم القارة الأفريقية، إلى جانب الأوضاع الداخلية في السودان عامة وسلطنة الفور بشكلٍ خاص. مع ضعف المقاومة

الوطنيـة في هـذهِ المرحلـة لقلَّـة الوعـي الوطنـي، إلى جانـب ملكيـة الأرض في دافـور بنظـامٍ خاص أُطلـق عليـه (حاكـورة) أو (حواكـير) أي احتكار ملكيَّـة الأرض. وإنَّ هناك نوعين مـن الحواكير في دارفـور، النـوع الأول: حيـث خصَّص السـلطان مسـاحاتٍ شاسـعة من الأرض لتكـون حكراً على كبـار رجالات الدولة نظير خدمـاتٍ مهمة كجمع الضرائـب، وأخـرى لقبائل ذات مكانـة. أمَّا النوع الثـاني: فهو يُسـمَّى (حاكـورة الجـاه) وكانت تُمنح للعلماء أو الفقهاء كهباتٍ لجهودٍ قاموا بها.

وأخـيراً كان السـلطان يقـف عـلى قمَّة السُّـلَّم القضائـي، فقـد كان يُعد بمثابة محكمة الاسـتئناف العليا، وكان هناك نظامان قانونيان يعيشان جنباً إلى جنب، وهما الشريعة الإسـلامية التي استُقيت منها الأحكام في قضايا الأحوال الشخصية، كما كان يتم تطبيـق قانـون (دالي) Legal Daily الـذي يحوي المبـادئ الأساسـية لقانـونٍ جنائـي ليـس مبنياً على الشريعة الإسـلامية، وإنَّما على الأعراف والعادات والتقاليـد، وإنْ اسـتقى في بعض مـواردهِ شيءٌ من روح الإسلام.

هكـذا حكـم السـلطان عـلي دينـار سـلطنة دارفـور وحافـظ على وحدتهـا وضحَّى بنفسـهِ من أجلها وهو يسـتحق الثناء والذكـر الطيب من لدن أبناء السـودان جميعـاً، وليفتخروا بهِ رمزاً للشـهادة وللوطنية الصادقة لمُقارعة الاسـتعمار الأجنبي من أجلِ وحدة السودان أرضاً وشعباً، قبل مئةِ عامٍ من يومنا هذا.

الهوامش:

(١) الشـامي، صـلاح الديـن، **السـودان.. دراسـة جغرافية**، ط٢، (القاهرة، منشأة المعارف، ١٩٧٣م)، ص١٤.

(٢) البسـتاني، فـؤاد أفـرام، **مُنجـد الطالـب**، (بـيروت، ١٩٦٣م)، ص٣٤.

(٣) أحمد بن الحاج أبو علي، **مخطوطة كاتب الشـونه في تاريخ السـلطنة السـنارية**، تحقيق: الطـاشر بصيـلي، (القاهرة، وزارة الثقافـة والإرشـاد، ١٩٦١م)، سلسـلة تراثنـا، ص٥٢؛ شريـف، نجـم الدين مُحَمَّـد، **السـودان القديم وآثاره**، (الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧١م)، ص٧.

(٤) الشـامي، مرجـع سـابق، ص١٤؛ **دارفـور.. الحقيقـة الغائبـة**، إعداد: مجموعـة باحثين، المراجعـة: كمال محمد عبيد، (الخرطوم، المركز السوداني للخدمات الصحفية، ٢٠٠٤م)، ص١٩-٢٠.

(٥) إنَّ تسـمية دارفـور مشـتقة مـن اسـم (اتنيـه افـور) أو وجـود قبيلة (فـور) الأفريقيـة، وتعني ديـار قبيلة فور، وهـو شـعبٌ من الشـاوية (المزارعـين) الذين يسـكنون في جبل (مُرَّة) وسـط السـودان. يُنظر: البحيري، زكي، **مشـكلة دارفور.. الجـذور التاريخية، الأبعـاد الاجتماعية والتطـورات السياسـية**، (القاهـرة، مكتبـة مدبـولي، ٢٠٠٦م)، ص٦-٧؛ الشامي، مرجع سابق، ص١٨.

(٦) شـقير، عوم، **تاريخ السودان وجغرافيته**، ط٢، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٧م)، ص١٢٨.

(٧) حسين، عبد الله، **السودان.. من التاريخ القديم إلى رحلة البعثـة المصرية**، (القاهرة، المطبعـة الرحمانية، ١٩٣٥م)، ج١، ص٢٢.

(٨) عبـد السـتار، عبد النبي، **دارفـور.. وأبعـاد المؤامرة على السـودان**، (كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص١٥-١٦.

(٩) المرجع نفسه، ص١٦.

(١٠) أحمـد، أحمـد محمـد، **دول الجـوار وأثرهـا عـلى الأمـن القومي السوداني**، الدورة السابعة، كلِّية الدفاع الوطني،

الأكاديمية العسكرية العليا، الخرطوم، ١٩٩٠م، ص٣٢؛ محمد، محمد سليمان، **السودان.. حروب الموارد والهويَّة**، (المملكة المتحدة - لندن، ٢٠٠٠م)، ص٣٣٤.

(١١) إسحق، محمدين محمد، ت**اريخ الإسلام والمسيحية في دارفور**، (بيروت، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م)، ص٦١-٦٤.

(١٢) جريدة الراية السياسية القطرية، «**ملامح من حياة آخر سلاطين دارفور**»، لقاء مع الأميرة (سعاد مزمل علي دينار) إحدى حفيدات السلطان.

(١٣) هي: عاصمة مديرية دارفور، أسَّسها السلطان عبد الرحمن الرشيد عاصمةً لمُلكهِ وحاضرةً لسلطة الفور عام ١٧٩١-١٧٩٢م، والفاشر معناه القصر السلطاني أو الملكي، أو مجلس السلطان. ولَّما كانت مجالس السلاطين تُعقد عادةً أمام القصر في ميدانٍ عام، فقد أُطلق على ذلك الميدان، وعلى السوق الواقع فيه، وبذلك صار لفظ (الفاشر) يعني مقر الملك أو السلطان أو حاضرة السلطنة، وقبل السلطان عبد الرحمن الرشيد لم يستقر سلاطين الفور في موضعٍ واحد. يُنظر: حسن، يوسف فضل، **مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠-١٨٢١م)**، ط٣، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، د.ت.)، ص٨٥.

(١٤) ورد في بعض الكتب والمراجع التاريخية السودانية أنَّ قصر السلطان علي دينار القائم في الفاشر تمَّ تشييده بإشراف الحاج عبد الرزاق، وهو من أهل العراق. للمزيد، يُنظر: طه، وسام أحمد، **نظام الإدارة في دارفور**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ٢٠٠٩م، ص٣٢.

(١٥) مقابلة شخصية للباحث مع الأستاذ الدكتور عبد السلام بغدادي، بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠١٦م.

(١٦) هو: رودلف فون سلاطين Rudolf von Slatin Anton Carl (١٨٥٧-١٩٣٢م)، المعروف بعبد القادر سلاطين أو أحياناً (عبد القادر شوبطين)، من أصلٍ نمساوي، جاء إلى السودان سائحاً عام ١٨٧٤م، وبعدها عيَّنه (غوردون) مفتشاً للمالية عام ١٨٧٩م، لا اعتقد أنَّ مجيئه كان بهيئة سائح بل أُرسل من جهاتٍ بريطانية، وإلَّا كيف يُعيَّن بمناصب مهمة، كما عُيِّنت المس غيرترود بيل Gertrude Margaret Lowthian Bell (١٨٦٨-١٩٢٦م) في العراق، وغيرهم. ثمَّ عُيِّن حاكماً على دارفور عام ١٨٨١م، وبعد السيطرة على دارفور في عهد الثورة المهديَّة أعلن إسلامه وانضم إلى صفوف الأنصار، حيث أطلق عليه المهدي اسم عبد القادر سلاطين. ظلَّ رهين محبس السلطة المهديَّة ثلاثة عشر عاماً حتَّى استطاع الفِرار إلى مصر بمُساعدة بعض العناصر المناوئة للمهديَّة، وبمُساعدة مكتب قلم المخابرات المصرية في ٢٠/ فبراير/ ١٨٩٥م، وأخيراً عاد مع جحافل الجيش البريطاني لغزو السودان عام ١٨٩٨م، وكان حلقة الوصل بين حكومة السودان والسلطان علي دينار. غادر السودان بعد أنْ استقال عن منصبهِ بسبب انضمام النمسا إلى القوات الألمانية المناوئة للحلفاء، زار السودان عام ١٩٣١م. توفِّي في عام ١٩٣٢م. للمزيد، يُنظر: أبو شوك، أحمد إبراهيم، **السودان.. السلطة والتراث**، (الخرطوم، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، ك٢/ يناير ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٥٩.

(١٧) علي دينار إلى سلاطين باشا، ١٥/ شوال/ ١٣٣١هـ -١٦/ سبتمبر/ ١٩١٣م، دار الوثائق السودانية، مخابرات Lntell .SGA.، 834/ 15/ 2/ 7. نقلاً عن: أبو شوك، مرجع سابق، ج٢، ص٦٠.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) قاسم، عون الشريف، **موسوعة القبائل والشخصيات السودانية**، (الخرطوم، دار أفرو قراف للطباعة والنشر، د.ت.)، ص١٢٠٨-١٢٠٩.

(٢٠) شبيكة، مكِّي، **السودان عِبرَ القرون**، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦م)، ص٤٣٣.

(٢١) المرجع نفسه، ص٤٣٤.

(٢٢) أبو شوك، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٢٤) شبيكة، مرجع سابق، ص٤٧٣.

(٢٥) هو: السيد أحمد الشريف السنوسي بن مُحَمَّد الشريف بن علي السنوسي، وعنه العالم عبد المهدي السنوسي، وأحد المجاهدين الليبيين ضدَّ الحلفاء في تشاد والسودان ومصر وليبيا، كما ساهم في نشر الدعوة الإسلامية. توفِّي عام ١٩٣٣م بالمدينة المنورة، ودُفن في مقبرة البقيع. للمزيد، يُنظر: أبو شوك ، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢٦) شبيكة، مرجع سابق، ص٤٢٦.

(٢٧) ممداني، محمود، **دارفور: منقذون وناجون.. السياسة والحرب على الإرهاب**، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م)، ص١٩١.

(٢٨) المرجع نفسه، ص١٩٢.

(٢٩) طه، مرجع سابق، ص٣٥.

(٣٠) المرجع نفسه، ص٣٧.

(31) Lampen, G. D., *History of Darfur*, S.N.R., vol. XXXI, part. II, Khartoum: 1950, p.202.

(٣٢) طه، مرجع سابق، ص٤٤ وما بعدها.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٤٥.

(٣٤) شاموق، أحمد محمد، **خلفية تاريخية وربع قرن بعد الاحتلال**، (دار النشر بلا، ١٩٧١م)، ص١٢-١٣.

(٣٥) واجه السلطان علي دينار الكثير من الصِّراعات الداخلية مع قبائل البقارة ، والمساليت، والفكي لسنين. للمزيد، يُنظر: طه، مرجع سابق، ص٤٦.

(٣٦) الرشيدي، محمد محمود، **دارفور تحت حكم علي دينار**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم التاريخ ، ١٩٧٦م، ص١٩٨-٢٢٣.

(٣٧) يُنظر: وثيقة رقم (١)، رسالة السلطان علي دينار وبخطٍّ اليد. ومصدرها: حسين، مرجع سابق، ص٢٢؛ إسحق، مرجع سابق، ص٦٨.

(٣٨) مركز الدراسات السودانية، **الديمقراطية في السودان.. البُعد التاريخي والوضع الراهن وآفاق المستقبل**، (أبحاث ندوة تقييم التجارب الديمقراطية في السودان، القاهرة ٤-٦/ يوليو/ ١٩٩٣م)، تحرير: حيدر إبراهيم علي، ١٩٩٣م.

(٣٩) **دارفور.. الحقيقة الغائبة**، مرجع سابق، ص٥٧؛ حسين، سرحان غلام، **التطورات السياسية في السودان المعاصر (١٩٥٣-٢٠٠٩م)**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م)، ص٣٨.

ملحق رقم (١)

وثيقة تاريخية نادرة بخط السلطان علي دينار آخر سلاطين دارفور

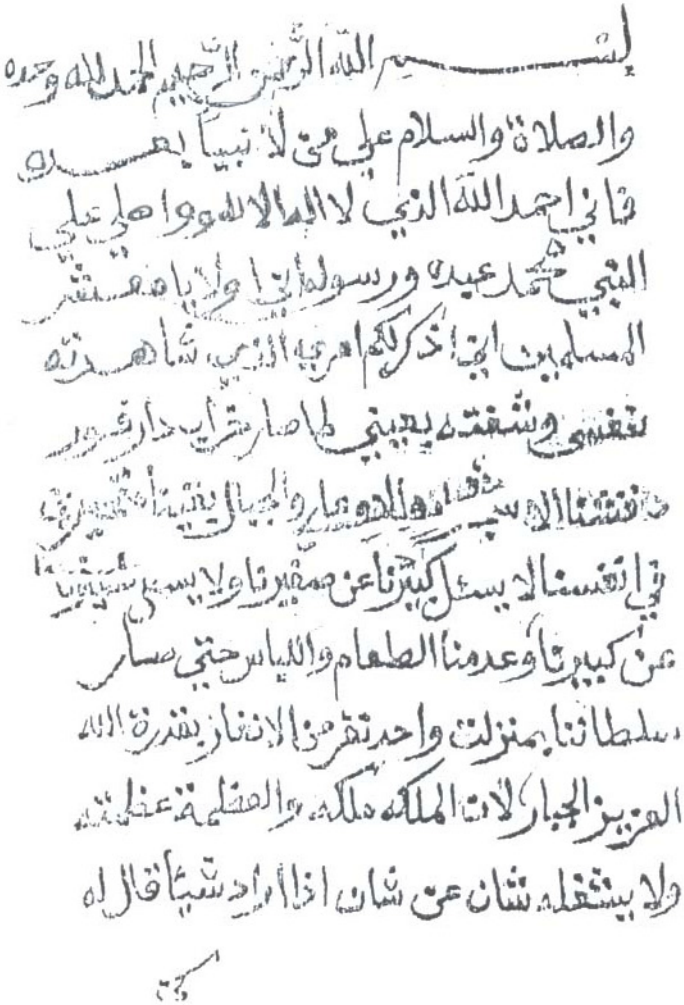
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
أما بعد أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على
النبي محمد عبده ورسوله أيها الولاة أمصار
المسلمين إني أذكركم أمر الذي شاهدته
نفسي وشفقته بعيني لما صار مترايد دارفور
وفتنتنا الأسباب شدة الحر والجبال يتيمنا أكثر
في أنفسنا لا يسأل كبيرنا عن صغيرنا ولا يسأل شيخنا
عن كبيرنا وعدمنا الطعام واللباس حتى صار
سلطاننا بمنزلة واحد نفر من الأنفار بقدرة الله
العزيز الجبار لأن الملك ملكه والعظمة عظمته
ولا يشغله شأن عن شأن إذا أراد شيئا قال له

كي فكان انقضي الامر وانسد البصر اخره نذر ما يختار
ويشاء فزايدي واذكر لكم تفصيلا فذاك من قدرة الله
الذي جرى ليوسف من قبلنا وكله اسباب من ارتكاب
المعاصي والفواحش وعدم اعطاء كل ذي حق حقه
وانصاف المظلوم من الظالم حتي قضي الله امرا
كان مفعولا لا سلط الله علينا واحدا اسمه جانوا
حتي خرب مدينتنا حتي لحقنا هذه المسيخات
والاوعار قضي الله امرا كان في يوسف مات
وتولي اخوه من بعده ابو الخيرات فمازلنا في تلك
المسايل والمسايخ والاشجار والاوعار حتي صار
احدنا لا يملك دجاجة ثم مكروه عليه عبيده وخدامه
فتركوه مقتولا منجدلا في الارض ثم بعد ذلك يطوا
مشورتهم علي توليتي انا العبد الضعيف فاذكر لكم

ذنوبي التي فعلتها في الدنيا بعدما طلبوني هذه
الملوك قالوا إلى أين كرهنا أبو الخيرات وقصدنا بخارى
انت سلطاننا علينا قلت لهم انا ليس لي طاقة
بهذه المسايل إني انا مقطوع وصغير ومسكين ولا
ولي إن أم ولا لي ابن أب ولا تصلح الملك إلا بالبالغ ولا
أملك من المال شيئا لاغتنايه ولا شيء امنيقت به النفيس
وبعد فراغي من هذا الكلام قالوا إنا لما ان تكون
معنا في هذه المسئله واما نقتلوك والجواب وتفرق
بالسلام على سبيل احتياطا وقولهم لي خشية من ان تعلم
أبو الخيرات بقتلنا فلما رايتهم صمموا على بهذا الكلام
قلت مدارة المومن على نفسه سنة لاجل ان يقتلوني
تكون معهم فانتبهتم في رايهم حتى قضي الله امرا
كان مفعولا تولت حكمهم بحاكم الله ولما نفذ الله
امره

امره ازلني لحكمه يعلمها هو ولا يعلمها غيره فابتهجت
اهل البلد وقالوا لم توجه الي المهدية افديها دهنت
يدي منها قلت لهم خير بحاه النبي فقمت متوكلا على
ربي وطلبت مراحلتي وركبت عليها توجهت الى القاش
فوجدت فيه عبد القادر دليل وابو جود قاضي البرنات
ومحمد فضل الفوجاوي ومع كوش عبد القادر دليل الذي
عبد الممتنا ابي باسي زمزم بنت السلطان محمد
الفضل يعد زلني الله من كرسي مملكتي وجيفت كرام
يقيت معهم عبدا حقيرا ذليلا فحكموا علي هم الشيخ
عبد القادر وابو ومحمد فضل وطلبوا القاضي احكامهم
واتفقوا الجميع بمجلس وقالوا اسا نقتلوا في هذا
الرجل المتكبر المتجبر المتنمرد الزاعم انه سلطان
وقال لهم القاضي ما عليناي شرط حتي تخابروا

ان هذا الرجل حضر بنفسه في دين المريد فتخبروا به
محمود والشيخ يعلمكم به افعلوه قال عبد القادر وكنا
المهدي هذا الرجل ما تركوا امرد الا يتزوركم فتنة
وقبل ما تكون ليالي سلطوا علينا واحد لص اسمه
حمزه يرتاوي يحضر عندنا بصفة جاسوس وانا الا ادري
فقد ذلك راودني ان احضر له الخمر وقلت له ان هذا
الشيء ممنوع عندكم وقال لي انا صحبتي منكم وخاطري
معكم لا يتم الا ان تحضر لي الخمر انا اشرب لا بالدس وكثر
علي المراوده فقلت له هذا الشيء انا لا افعله
ابدا وعندكم ممنوع ولعله ان يزيطوه مني عيالي وقال
لي ابدا لا ينكشف لي عطا ابدا فما زال يراودني بانواع
المحبة منه ولا ادري بانه مكر حتى احضرت له الخمر
فشرب منها وقال امرأولادك يوصلوها لي الى محلي
واخذوها

واخذوهاله وبعد رجوع الاولاد منه اختلفوا في وصلها
فقام عبد القادر وكلمه فعند ذلك عبد القادر تسمع
قومه العربات كالمسيرية وغيرهم وانتفقوا ان هذا
الرجل بهذه الصفر يقضي علينا البلاد فاستشاروا
علي ان يسجنوني او يقتلوني ولما اصبح الصباح
اجتمعوا هم الاربعة عبد القادر دليل وابو احمد فضل
والقاضي وطلبوني عندهم واول ما دخلت الباب
وجدت الحجاب من العربات الاراملو واقفين زياده
من مايه وسبعين بحرابهم وبالخارج جهادية زياده
من مايتين تقريبا لاحرهم اول ما جيت عندهم قالوا
لي انت محبوس خالفت امر المهدية قلت لهم ما اسباب
هذه الخلاف وقالوا لي انت جيت بحيلتز تشتري
التمر وتقضي البلد فقلت لهم ستدخلقني ربه ما شريت

The National Movement in Darfur (1898-1916) Historical Study

Prof. Dr. Sarhan Ghulam Hussain
al-Mustansiriyah Centre for Arabic & International Studies

Abstract:

There have been movements & uprisings in the Arab countries, including Sudan, through the growth of social & political awareness. This is reflected in the secret, public associations & unions. This coincides with the orientations of the national movement in Egypt & its impact on the course of the political movement in Sudan. Especially after the spread of education & increased national awareness of the Sudanese intellectuals stood against the policy of Britain in Sudan.

The history of Sudan has been bright in many national stations & in the national positions of its sons who have defended their freedom against the occupation forces in most of its historical stages.

The Darfur region remained a clear example of this human diversity of different Arab & African origins during the time of the sultans until the Sultan took over the rule of Dinar, the stability of the situation in Darfur with a state of coexistence for long periods, the achievement of a variety of relationships & the fusion of Darfur society, Friction between Arabs & Africans on the continent.